■ روجيه جارودي

مفكر فرنسي

(١٧ يوليو ١٩١٣ ـ ١٣ يونيو ٢٠١٢ م)

obeikan.com

ولد في فرنسا، لأم كاثوليكية وأب ملحد. اعتنق البروتستانتية وهو في سن الرابعة عشرة، وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعى الفرنسى، وفي عام ١٩٣٧ عين أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه . خلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب لفرنسا بالجزائر وفي عام ١٩٤٥ انتخب نائبا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام ١٩٤٦، حصل جارودي على درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٩٥٣ من جامعة السوربون عن النظرية المادية في المعرفة، ثم حصل على درجة الدكتوراه الثانية عن الحرية عام ١٩٥٤ من جامعة موسكو، ثم طرد من الحزب الشيوعى الفرنسي سنة ١٩٧٠م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي

اعتناقه للإسلام

في٢ يوليو ١٩٨٢ أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامى في جنيف، وكتب بالمناسبة كتابيه «وعود الإسلام» و«الإسلام يسكن مستقبلنا».

معاداة الصهيونية

بعد مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان أصدر غارودي بيانا احتل الصفحة الثانية عشرة من عدد ١٧ حزيران ١٩٨٢ من جريدة لوموند الفرنسية بعنوان معنى العدوان الإسرائيلى بعد مجازر لبنان وكان هذا البيان بداية صدام غارودي مع المنظمات الصهيونية التي شنت حملة

ضده في فرنسا والعالم. في عام ١٩٩٨ أدانت محكمة فرنسية جارودي بتهمة التشكيك في محرقة اليهود في كتابه «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل»، حيث شكك في الأرقام الشائعة حول إبادة يهود أوروبا في غرف الغاز على أيدي النازيين .وصدر بسبب ذلك ضده حكم بالسجن لمدة سنة مع إيقاف التنفيذ.

فكره :

ظلّ ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية التى آمن بها في الحزب الشيوعي، ووجد أن الإسلام ينسجم مع ذلك ويطبقه كما ظلّ على عدائه للإمبريالية والرأسمالية، وبالذات لأمريكا.

مؤلفاته بعد إسلامه :

رغم حداثة إسلام جارودي وكثرة المصاعب التى واجهته سواء من حيث اللغة أو الثقافة استطاع أن يؤلف العديد من الكتب منها :

- وعود الإسلام
- الإسلام دين المستقبل
- المسجد مرآة الإسلام
- الإسلام وأزمة الغرب
- حوار الحضارات

- كيف أصبح الإنسان إنسانا
- مستقبل المرأة وغيرها
- ١٩٩٧ الولايات المتحدة طليعة التدهور
- الإرهاب الغربي ٢٠٠٤

obeikan.com

الأزهر يضر بالإسلام أكثر من أعدائه!!..

عندما اتصلت هاتفيا بالفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي لتحديد موعد لهذا الحديث كانت رغبته هي أن نتحدث في عموميات الفكر دون أن ندخل في التفاصيل التي تجعلنا – شئنا أم أبينا– وجها لوجه أمام مجموعة المشكلات المتفجرة التي تطفح بها البنية الإسلامية اليوم. فاحترمت رغبته، ولذلك جاء الحديث أشبه بالذكريات أو الانطباعات السريعة التي يلقيها صاحبها على عواهنها، لكنها لم تخلو – على كل حال– من آراء وانطباعات هام حول أول زيارة قام بها إلى مصر في عام ١٩٦٧، ورؤيته لدور رجل الدين، ثم فهمه الخاص كفيلسوف لحكمة الصيام، وأخيراً رأيه فيما يُسمى بميثاق الديانة الإسلامية في باريس.

قلت لروجيه جارودي:

• لنبدأ حديثنا بشهر رمضان.. هل لك ذكريات خاصة بالشهر المبارك؟

– لقد زرت معظم الدول الإسلامية، لكن لم تشأ أقداري أن

أمضى في إحداها هذا الشهر الكريم، لقد زرت مصر عدة مرات، وكذلك تركيا التي منحتني إحدى جامعاتها درجة الدكتوراه الفخرية، كما زرت الأندلس، وأسست فيها المتحف الإسلامي الوحيد هناك، والذي يحفظ تراث العرب والمسلمين ويتردد عليه أكثر من ١٠٠ ألف زائر سنوياً.

ثم أُتيح لي أن أؤدي فريضة الحج في المملكة العربية السعودية وأحمل لكل هذه البلدان ذكريات طيبة في صدري.

• كفيلسوف مسلم.. كيف ترى الحكمة من الصيام؟

- أولاً وقبل كل شيء، لابد من احترام روح الصيام ففى هذا الشهر المبارك يثبت الإنسان المسلم أنه يختلف عن الحيوان وباقى بالمخلوقات لأنه بوسعه أن يقطع صلته بغرائزه لفترة معينة. ومن ثم فهو سلوك ينشد السمو والصفاء. لكن ما يدهشني بحق هو أن الصيام في عدد من الدول الإسلامية ليس كذلك دائما هو على أقصى تقدير نوع من تغيير مواعيد الوجبات، فما أن تغرب الشمس حتى يهرع الصائمون إلى الموائد التي اصطف عليها الطعام ألوانا وأشكالاً، وكأن كل واحد منهم يملك في جوفه بطنين أو ثلاثة..

- وأذكر أن أحد وزراء الدول الإسلامية قد أكد لي أن كمية الطعام المستهلكة تزداد في شهر رمضان بنحو ٢٠٪ عن الكمية المستهلكة في غير شهر رمضان، وهو أمر غير صحيح لأن هذا معناه

أن الصائم يلغي وجبة الغـذاء في الظهـر ليعوضـها أضـعافا في وجبـة العشاء. ثم هناك شيء آخر، وهو أن الكثيرين يتصـورون –للأسـف الشديد– أن الصيام هو مجرد الامتناع عن الطعام والشراب وكفى!

وهنا تحضرني واقعة حدثت في الجزائر في زمن الـرئيس الراحـل هواري بومدين الذي كان من سياسته القيام بنهضة صـناعية ضـخمة في بلاده، وحدث أن بعض العمال كانت تضطرهم ظروف العمل أن يبقوا أمام الأفران عددا من الساعات وهو مـا يجعلهـم في حاجـة إلى شرب كميات من المياه لا تقل عن ٦ أو ٧ لترات يوميا. فكيف لهـم أن يصوموا؟!

وأذكر أن مدير المصنع طلب السماح للعمال بالشرب أثناء شهر رمضان وإلا ماتوا من العطش.. وهدد المدير بأنه إذا لم يُسـمح لهـم بذلك، فسوف يُغلق المصنع! ثم يستطرد روجيـه جـارودي فيقـول: انطلاقا من هذه الروح التي أعوّل عليها كثيرا، أتعجب من الخلافات التي تحدث كل عام بين الدول الإسلامية حول تحديد أول أيام شهر رمضان حيث تصوم بعض الدول اليوم بينما تصوم الـدول الأخـرى غداً.. والخـلاف كمـا يقولـون يرجـع إلى أن رؤيـة الهـلال لم تثبـت للجميع في نفس اليوم، وسـرّ تعجبـي و أن الـبعض مُولـع بـاختلاق الخلافات والمشاكل.. لأننا لو اتفقنا سلفا على أن قضية رؤية الهلال بـالعين المجـردة أصـبحت صـعبة في ضـوء الظـروف الجيولوجيـة

والبيئية (ضباب، تلوث...الخ) فليس هناك ما يمنع من الاعتماد على المراصد الفلكية. وفي هذه الحالة يكفي أن نتصل هاتفيا بالمسؤولين عن المرصد لنعرف بالتحديد ثبوت هلال رمضان أو شوال أو بقية كل شهر..

وقبل أن أنهي حديثي عن شهر رمضان، أود أن ألفت الانتباه إلى نقطة أخرى، تؤلمني، وتحزّ في نفس، وتتعلق بالصعوبة التي يتحدث عنها البعض بالنسبة لمواقيت الصيام في منطقة الأسكيمو حيث يصعب هناك تطبيق الآية الكريمة التي تقول:

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

فإذا طبقنا هذه الآية فهذا يعني أن يظل أبناء الأسكيمو صائمين طوال ستة أشهر متواصلة لأن تمييز هذا الخيط سيكون صعبا مع كثافة الضباب هناك.. أو أن الأسكيمو يجب أن تكون خالية من المسلمين.. وهو أمر غير منطقي!

بعبارة أخرى، إن الالتزام بحرفية النص هنا لن تكون مفيدة لأن الفاصل بين شروق الشمس وغروبها في الأسكيمو يمتد لستة أشهر ومن ثم لابد من الاعتماد في مثل هذه الحالة على روح النص ومطابقته لواقع الحال..

● ذكرت في بداية الحديث أنك زرت مصر كثيرا.. ترى متى كانت أول زيارة، وما منا سببتها؟.

– ترجع زيارتي الأولى لمصر عقب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وكانت بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر، وأذكر أنني عندما التقيت به، وجدت لديه أوراقا تضم أعمال المؤتمر الذي كنت نظمته في الجزائر عام ١٩٤٧ حول الإسهام العربي الإسلامي في الحضارة العالمية.. وقال لي عبد الناصر ضاحكا: إنني أعرفك قبل أن أراك!

وكان برفقته الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل الذي تولى الترجمة بيننا من اللغة الإنجليزية. ولعلي الآن أبوح بسر دبلوماسي وهو أنني عندما زرت مصر في هذه المرة، كنت مُكلفاً من قبل ناحوم جولدمان رئيس المجلس اليهودي العالمي (وهو رجل كاره للصهيونية وكان طلب من الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت أن يقوم بكسر اللوبي الصهيوني) بعرض اقتراحه الخاص بعقد لقاء مع الرئيس عبد الناصر، وجولدامائير.. على أن يتم ذلك من خلال شخص وسيط، وكان من المتوقع أن يحضره جولدمان بنفسه أو ينوب عنه شخص آخر.

ويستطرد روجيه جارودي قائلاً:

– مازلت أذكر أن «الباسبور» الذي كنت أحمله كان غريبا في

هذا الوقت، حيث كان يشتمل على تأشيرتي دخول، الأولى لإسرائيل والثانية لمصر، والتقيت في إسرائيل بعدد من الوزراء من بينهم أبا إيبان، وكان الجميع موافقين على فكرة اللقاء الذي كان من المقرر – في حالة حدوثه– أن يُعقد في يوغسلافيا.

لكن نقل لي الوزراء الإسرائيليين في اليوم التالي أن جولدا مائير رفضت الفكرة، وقالت إن مستر جولدمان لا يمثلنا، وإذا كان الرئيس عبد الناصر يريد أن يدعو أحد، فليدعوني أنا! ولذلك مات المشروع، وتوقفنا عن المضي فيه.

أما المرة الثانية التي زرت فيها مصر، فكانت في عام١٩٧٤ عقب تأسيس معهد حوار الثقافات في سويسرا، عندما قررنا عمل مجموعة أفلام تتضمن ملخصاً عن إسهام كل حضارة، واخترنا مصر، وكان يشاركنا الفكرة، المخرج الراحل شادي عبد السلام الذي كان سيقدم لنا فيلما حول إخناتون ونفرتيتي.. وللأسف توقف المشروع بسبب خلافاتنا مع التليفزيون الفرنسي.

كما زرت مصر مرة ثالثة بمناسبة صدور كتاب لي حول فلسطين قام بترجمته من الفرنسية إلى العربية الدكتور «شاهين» ثم توالت زياراتي تباعا للمشاركة في عدد من المؤتمرات والندوات.

• من هم أصدقاؤك في مصر، وهل تربطك صلة بمؤسسة الأزهر؟

- لي أصدقاء كثيرون، أذكر منهم المخرج الراحل شادي عبد السلام وعدد من الأطباء والمثقفين المصريين، لكن مشكلة اللغة تحول دون التواصل الدائم، حيث أتكلم معهم باللغة الإنجليزية. وبالنسبة للأزهريين، فلا أعرف إلا القليلين منهم، ولقد دعاني ذات مرة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق للمشاركة في إحدى الندوات التي ينظمها الأزهر. وأذكر أنني لاحظت أن الترجمة العربية لكلمتي لم تكن تسير بشكل طبيعي، ولا أعرف حتى الآن ما السبب؟! ولذلك تركت الندوة، وعلمت أن الطلاب قد غضبوا من أجلي!

وإجمالاً، أرجو أن أسجل هنا رأيا، ذكرته قبل فترة لأحد الوزراء المصريين، وهو أن بعض الأزهريين يضرون الإسلام أضعاف أضعاف ما يضره أعداؤه، فقبل فترة، أدلى أحد رجال الأزهر بتصريح للتليفزيون الفرنسي والسويسري حول قطع يد السارق.. وأعتقد أنه أضر بالإسلام في عشر دقائق، بمقدار ما يضر به أعداؤه مجتمعون في عشر سنوات!

والسبب هو أن رجال الأزهر يحظون بمكانة مرموقة في نفوس الجميع، ولذلك إذا تكلم واحد منهم ظنه الناس الراي الذي لا رأي قبله أو بعده! والمؤسف أن هذا الأزهري لم يكن على العلم والاستنارة، والوعى الضروري في مثل هذه المناسبات.

- ما رأيك في طه حسين؟.

- إني أحب هذا الرجل كثيرا، وإن كنت لا أتفق معه في كل الطروحات الفكرية التي قدمها. لكن في التاريخ المعاصر هناك من أحبهم أكثر منه، وأعجب بهم بشدة، وعلى رأسهم جميعا الإمام محمد عبده، هذا الرجل المستنير الذي لا أحسب أن الأمة الإسلامية قد رزقت بعده، بواحد يقترب منه علما وخلقاً.

صحيح لقد أثّر في بعض التلاميذ مثل رشيد رضا، وحسن البنّا، لكننا نفتقد هؤلاء جميعا اليوم.

• هل تعتبر حسن البنا تلميذا لمحمد عبده؟.

- بالطبع، لقد حمل البنا مشعل الاستنارة بعده، وإن اختلف عنه في بعض التوجهات مثلما اختلف رشيد رضا. لكن المحقق أن هؤلاء الرواد كانوا علامة مضيئة في الفكر الإسلامي المعاصر. وبالنسبة لحسن البنا، لقد أتيح لي أن ألتقي في جنيف بأحد أحفاده ويدعى طارق رمضان، وهو شاب مستنير وعقليته متفتحة كما التقيت بشقيق طارق، الذي أطلعني على نص هام كتبه حسن البنا، ويدعو فيه أن يكون بين مؤسسي جمعية الإخوان المسلمين، خمسة من الأقباط على الأقل!

لقد كان البنا رجلاً متفتحا، أين منه رجال اليوم؟ وفي هذه النقطة تحديدا، كان حسن البنا وفيا لأستاذه محمد عبده الذي يروي أن رجلاً جاءه ذات يوم وقال: أيها الإمام، إني اعتنقت الإسلام، فرد

عليه محمد عبده قائلاً: أنت أصبحت مسلماً، لكن لا تنس أنك ماتزال مسيحيا لأن الإسلام يعترف بجميع الديانات.

وهي نفس الفكرة – والكلام لروجيه جارودي – التي قالها يوما ابن عربي عندما قال: ليعلم أي مسيحي يعتنق الإسلام أنه لم يغير دينه!

هذه الأفكار قد جاءتني في التو واللحظة، وجعلتني أتذكر بأسى أنني قدمت استقالتي من عضوية المجلس العالمي للمساجد في مكة بسبب أن د. عبد الله ناصيف رئيس الجامعة الإسلامية العالمية طلب مني أن يكون العمل في إدارة متحف الآثار الإسلامية الذي أسسته في أسبانيا قاصراً على المسلمين!

ومازلت مندهشاً لهذا التمييز الجائز بين البشر انطلاقا من دياناتهم.. فالإمام محمد عبده رفضه قديما، وهاأنذا أرفضه اليوم.

● ما هو تعليقك على حادث الاعتداء الذي تعرض له، عميد الرواية العربية نجيب محفوظ من قبل المتطرفين وأدعياء الدين؟.

– لقد سمعت بالطبع عن هذا الحادث، لكني أفضل ألا أعطي تعليقا عليه، لأنه حادث يتعلق بأوضاع مصر الداخلية، وكلامي سيكون من قبيل الوصاية أو الاستعمار الفكري، وأنا أرفض ذلك. وموقفي هذا، هو الذي يجعلني أنتقد بشدة تصريحات وزير الداخلية الفرنسي شارل باسكوا الخاصة بالأوضاع في الجزائر عندما

قال: نحن لن نسمح بأن تتولى حكومة إسلامية السلطة في الجزائر؟.

وأندهش من هذا التصريح وأتساءل: بأي حق يرى باسكوا أنه يسمح أو لا يسمح؟ أليس هذا الأمر خاصا بالشعب الجزائري باعتباره شأنا داخليا؟.

كنت أتصور أن يقول باسكوا مثلاً نحن لا نرغب في أن تأتي حكومة إسلامية إلى السلطة في الجزائر، أو نحن لا نأمل في هذا.. إن كلاما كهذا سيكون مقبولاً، لكن استخدام صيغة «نحن لن نسمح» فهو أمر مقزز، ويجب على فرنسا أن تترك الشأن الجزائري للشعب الجزائري نفسه، ولا تقحم نفسها في أمور هي من خصوصيات الآخرين.

• علمت أنك شاركت في الاحتفال الذي نظمته وزارة الداخلية الفرنسية بمناسبة صدور ما يسمى بميثاق الديانة الإسلامية في فرنسا.. ما رأيك في هذا الميثاق؟.

– عن أي ميثاق يتحدثون؟ لقد دُعيت فحضرت، وانتظرت أن يعطيني أحد نسخة من هذا الميثاق لكي ألقي نظرة فاحصة على بنوده فلم يحدث، فسألت مدير مكتب وزير الداخلية وقلت: أين هذا الميثاق.. هل لديك نسخة منه؟.

فأجاب بأنه لا توجد في حوزته الآن أي نسخة وتصورت أن الشيخ دليل أبو بكر عميد المعهد الإسلامي سوف يُعطي رأيا في

الموضوع، فتبين لي بعد قليل أن أحدا لم يسأله، أو يوجه إليه الحديث، فظل الرجل صامتا كحالي إذ لم يتحدث غير وزير الداخلية.

ثم سألت الدكتور على مُراد وهو أستاذ جزائرى مرموق في جامعة ليون، عن الميثاق، وهل رآه، أو ناقشه فأجاب: بأنه لم ير شيئاً!!

ولذلك كان طبيعيا أن تظهر معارضة للميثاق وترتفع الأصوات عالية بالاحتجاج. لكن ما أعلمه يقينا هو أن وزارة الداخلية الفرنسية هي التي صاغت الميثاق، وأعطته إلى أستاذ لغة عربية بجامعة أكس أن بروفانس هو مسيو برونو إيتيان لترجمته.. إن ما حدث هو شيء مؤسف!

سؤال أخير: مسيو جارودي.. لماذا لم تحاول تعلم اللغة العربية حتى الآن، ولماذا اخترت الإسلام دينا؟.

- هذا سؤال جيد لأنني أحتفل هذه الأيام بمرور عشر سنوات على اعتناقي للدين الإسلامي، وعمري الآن ٨٣ عاما، أي أنني عندما دخلت إلى الإسلام كان عمري ٧٢ عاما وهو عمر لا يسمح بتعلم لغة جديدة، ثم إنني كنت في ذلك الوقت مشغولا بإتقان اللغة الإسبانية التي كنت مضطرا للتعامل بها مع الكثيرين عند تأسيس المتحف الإسلامي هناك. أما سبب دخولي إلى الإسلام فهو لأن الدين الإسلامي دين تسامح يعترف وبقدر كل الأديان، ويتجه بتعاليمه إلى كل البشر..

● كلمة أخيرة تريد أن توجهها للمسلمين؟

– أقول لهم لا تخلطوا بين الشريعة والفقه.. ولا تعتمدون على التفسير الحرفي لآيات القرآن الكريم، لأن هذه الحرفية هي أكبر أمراض الفكر الإسلامي المعاصر.

obeikan.com

محاكمة روجيه جارودي

الحق أن اسم هذا المفكر الكبير روجيه جارودي قد ارتبط في أذهان الكثيرين بالحرب الضروس التي يخوضها ضد خصومه.. إذ لا يكاد يمر وقت طويل بدون أن يكون هذا الرجل مهاجما أو موضع هجوم من منتقديه وهم كثر..

وقد شغلت معركته أو إن شئت تقل محاكمته الأخيرة أمام القضاء الفرنسي، الناس في مصر، وكادت تصبح مادة جدل يومي بين العامة والخاصة على السواء.. مثلما أصبح شعار «حرية، إخاء، مساواة» المعروف عن فرنسا – وبسبب هذه المحاكمة تحديدا- موضع شكوك كثيرة أمام محك الواقع العملي، بمعنى أن الكثيرين من المهتمين بقضية جارودي قد ارتاحوا إلى فكرة الفصل بين الشعار النظري، وتطبيقاته العملية.

وأيا كان الأمر، فما لم يعد خافيا على أحد أن تقديم جارودي إلى المحاكمة هو أمر يدفن حرية الفكر، ويصيبها في مقتل.. لأن جارودي –من وجهة نظر محاكميه- قد تحدث في المسكوت عنه

(بلغة الفلسفة).. أو خاض فيما لا ينبغي له الخوض فيه..

لكن الإنصاف يقضي بالقول إن اليهود وليس فرنسا هم الذين يحاكمون روجيه جارودي.. وهو ما أكده روجيه جارودي نفسه في المقابلة التليفزيونية المتميزة التي أجراها معه الزميل حازم فودة مراسل التليفزيون المصري في باريس عندما قال أن ١٠٪ من الشعب الفرنسي هم الذين يحاكمونه..

ولاشك أن التهمة الموجهة إلى جارودي تجرأ على كشف زيف الأساطير التي تغلف حياة اليهود الماضية والمعاصرة.. هي أنه فلنقل إن الرجل فضح الأكاذيب التي روج لها اليهود في كل وسائل الإعلام وداخل جميع المحافل الدولية حتى باتت – في رسوخها- أشبه بالحقائق التي لا يأتيها الباطل من أمام أو من خلف.

لكن الثابت تاريخيا أن جارودي ليس وحده أول من تحدث عن خرافة «الهولوكست» أو أول من فضح زيف كل ما يقال حول حرق الآلاف المؤلفة من اليهود في أفران النازي.. وإنما سبقه كثيرون من بينهم باحثون تقدموا برسائل علمية في جامعات فرنسا، ونالوا عنها درجة الدكتوراه لكن اللوبي اليهودي المبثوث في كل الأوساط بقرائن استشعاره كالإخطبوط قامت قيامته، وطالب بسحب هذه الرسائل، والطعن في محتواها، ومن ثم في الدرجات العلمية التي ترتبت عليها بل وطارد أنصار اللوبي اليهودي بعض هؤلاء الباحثين

في أماكن إقامتهم وحولوا حياتهم إلى جحيم! والسبب كما هو معروف أن عتاة وغلاة اليهودية لا يسمحون بأن تُهتك الاستار التي وضعها أجدادهم حول تاريخهم القديم والمعاصر..

وفي إطار هذا التعتيم الذي تمارسه الأوساط اليهودية حول تراثياتها جاءت هذه الحرب الشرسة التي يقف روجيه جارودي شامخاً وسط لهيبها.. لا يأبه بالمقصلة التي ينادي بها خصومه لكي تنزل على رقبته بلا هوادة.. وكان طبيعيا أن تتأثر وسائل الإعلام الفرنسية بهذا اللوبي اليهودي، وتقف في صفه.. وتبث أخبارها بحساب شديد، ليظهر فيها روجيه جارودي بمظهر المجرم في حق اليهود، مثلما أظهرت في وقت متزامن أيضا شخصا آخر هو موريس بايون، في صورة قاتل اليهود..

وكان الانطباع العام الذي تركته وسائل الإعلام الفرنسية لدى المشاهد هو أن فرنسا والعالم يعيش «عصر الكفارات الكبرى» بمعنى أن على فرنسا وأوروبا، والعالم أن تقدم طواعية اعتذارها لكل اليهود الذين كانوا وحدهم – من وجهة النظر هذه – الضحايا، وغيرهم هم الجناة الذين يستحقون أقسى أنواع العقاب.

والأوساط الثقافية المصرية لا تغيب عن بالها صورة الدفاع الهزيلة في فرنسا عن جارودي، بالمقارنة مع «الدفاع» الذي وقف شاهراً سيفه ذودا عن سلمان رشدي الهندي، الإنجليزي الذي أساء

للإسلام أبلغ إساءة، وعن الكاتبة البنغالية تسليما نسرين – صاحبة كتاب «العار»..

والمؤلم هو أن الدفاع عن جارودي كان متهافتا رغم صمود بعض المثقفين الفرنسيين معه، بالمقارنة مع الاحتفاليات التي كانت أقلية لسلمان رشدي، وتسليما نسرين..

وهنا أذكر أن الفيلسوف الفرنسي المعاصر برنار هنري ليفي تولي بنفسه دعوة تسليما نسرين إلى فرنسا، وهي في الأصل كما نعرف جميعا طبيبة لا علاقة لها من قريب بالفكر أو الكتابة – وأشرف هنري ليفي على هذه الاحتفاليات التي أقيمت لها في مؤسسات علمية فرنسية عديدة.. وقام بالترويج لها، ولأفكارها، معتبراً إياها – مع شريحة عريضة من المثقفين الفرنسيين – ضحية جديدة من ضحايا ما أطلقوا عليه اسم «الجبروت الإسلامي».

ويطيب لنا أن نتساءل في هذا المقام ونقول: إذا كانت حرية الرأي والدفاع عنها هي التي تجري على كل لسان في فرنسا.. فأين ذهبت الأصوات المدافعة عنها عندما تعلق الأمر بروجيه جارودي..؟

بكلمة أخرى، لماذا هذه الضعضعة أو بالأحرى هذا الضعف في الموقف من جارودي.. هل لأنه مسلم، أم لأنه يطعن في حقائق صهيونية هي في الأصل لاتزيد على كونها أكاذيب وادعاءات باطلة؟!

وليس من شك أن السؤال السابق هو سؤال استنكاري يحمل في طياته الإجابة بمفهوم المخالفة.. لأن جارودي ذاق الأمرين على أيدي الصهاينة الذين يسيطرون على إعلام العالم..

وجدير بالذكر أن جارودي سبق له أن حوكم أيضاً في عام ١٩٨٦ بعد أن نشر في صحيفة لوموند نداء يطالب فيه بحق الشعب اللبناني في أن يعيش في سلام وحق الفلسطينيين في أن تكون لهم أرض ودولة، ويشكك في نوايا إسرائيل تجاه جيرانها.. وكانت الأوساط اليهودية اعتبرت هذا النداء -مثلما هو الحال الآن- قضية طعن في حق اليهود، والنيل من السامية التي يمثلونها في زعمهم..

والحق أن المرارة التي تملأ فم جارودي هي من نفس «نوع» و «جنس» المرارة التي ملأت فم شيخ المستشرقين الراحل جاك بيرك.. عندما فرضوا عليه حصارا إعلاميا في أعقاب إصداره أهم وأشهر ترجمة لمعاني القرآن الكريم.. وأذكر أنه قال لي في حواراتي معه أن مندوب صحيفة لوموند حدد معه موعدا لإجراء حوار للصحيفة.. ثم عاد فطلب إلغاءه.. وهكذا فعل التليفزيون الفرنسي، بينما اختلف الحال عندما أصدر اليهودي أندريه شواركي ترجمة لمعاني القرآن الكريم عن العبرية.. إذ بادرت الصحف والتليفزيون في فرنسا بلقائه، وأفردت له المساحات المختلفة، وروجت لترجمته في كل الأوساط.. والسبب كما يقول الراحل جاك بيرك هو موقف

اليهود.. الذين يتحكون في الإعلام تحكما بالغاً..

.. ولذلك يحق لنا أن نقول باطمئنان: ما أشبه ليلة جارودي، ببارحة جاك بيرك.. وها نحن نسجل -أخيرا- سعادتنا بلقاء الفيلسوف الفرنسي .

وكان أتيح لي أثناء عملي مراسلاً «للأهرام» في باريس أن أزوره في بيته في ضاحية شامبيني الباريسية وأناقشه في أمور كثيرة أتاحت لي معرفته بشكل جيد.. وهو ما يجعلني أجذم بأن محاكمة جارودي هي محاكمة أبعد وأشمل من شخص جارودي، لأنها محاكمة لحرية الفكر.

جارودي يؤكد: اسمي «روجيه» وليس «رجاء»!

..في تقديري أن الحسنة العظيمة التي تحسب لمعرض القاهرة الدولي للكتاب، ولوزير الثقافة على وجه الخصوص هي أنه ساعد الجمهور المصري في التعرف بشكل صحيح على الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي.. أجزم – أن كل المعلومات المتعلقة بروجيه جارودي وفكره، ومسيرته الطويلة التي قادته إلى حظيرة الإسلام، كانت، مغلوطة بشكل مخجل، وشائعة في أذهان وعلى ألسنة العامة في مصر.. ولم يكن من سبيل إلى تصحيحها سوى هذه المواجهات المباشرة، وذاك الحديث المستطرد الذي كان يكرره ويجدده جارودي نفسه دون ملل أو كلل..

– فالعامة في مصر، وبعض الخاصة –ولم لا– كانوا لا يترددون في الباس روجيه جارودي –عباءة المسلم العادي أو المسلم البسيط. الذي مسته روحانيات الإسلام العظيم، وملكت عليه لبه، –فهرع– دون أن يدري سببا مباشرا لذلك –نحو الإسلام..

– وأذكر أني كنت قد قرأت بعض التغطيات الصحفية في مجلة

منبر الإسلام – قبل سنوات، تسير في نفس الاتجاه، مما أثار حنقي الشديد عليها، لأنني أعلم بحكم صلتي القريبة من روجيه جارودي –أنه أبعد ما يكون عن هذه الصورة التي تسيء له بالقطع أكثر مما تخدمه.. ناهيك عن أنها صورة ضالة ومضللة...

– وأذكر أيضا أن بعض المتعجلين من محترفي إصدار الكتب السريعة عن الأشخاص ركوبا للموجة وهلم جرا، وكان قد أصدر كتابا عن روجيه جارودي، لم يبتعد محتواه العام عن إظهار الرجل في صورة «السلبي» الموغل في سلبيته والذي قصاراه أن فتح قلبه للإسلام وكفى!

وتحضرني هنا، بعض مقولاته التي ألح عليها بنفسه في ندواته القاهرية والتي تصحح –في نظري– هذه الصورة المغلوطة عنه، بشكل مباشر.. ومنها أنه عقب تسلمه لجائزة الملك فيصل قبل سنوات قال في كلمته أمام الحاضرين أنه دخل على الإسلام وهو يحمل تحت إبطه اليمنى «الإنجيل» وتحت إبطه اليسرى كتاب «رأس المال» الشهير لكارل ماركس..

– وأتذكر أيضا إجابته التي كررها أمامي – على الأقل– أكثر من مرة سواء في ندوتي معرض القاهرة الدولي للكتاب، أو في ندوة نقابة الصحفيين والتي يرد فيها على مسألة إسلامه.. ويقول فيها: إنني لم أتنكر لكل مشواري الفكري والنضالي بل أعتز بكل ما قمت به.

وما دخولي الإسلام سوى خطوة، سبقتها خطوات أدت إليها بالضرورة.

- وأضاف يقول أيضا: إن دخولي الإسلام يتسق تماما مع معتقداتي التي صاحبتني منذ عشرات السنين. بل إنني كنت أحلم بها منذ كان عمري ٢٠ عاماً..

- وأشهد أن إجابة جارودي، وبهذه الصورة من المباشرة والوضوح في لقاءاته مع الجمهور المصري، تهمني كثيرا، لأنها ترد بشكل صريح على كل من يحاول -عن عمد أو عن غير عمد- تقزيم عقل الرجل، ومساواة حياته ومشواره الفكري الطويل، بحياة ومشوار أي رجل بسيط، أدركته روحانيات الإسلام فخر وسجد إلى الله شاكرا إياه على نعمة الدين الحنيف.

- والحق: أن جارودي وإن كان بالفعل قد سجد إلى الله شاكرا على دينه العظيم، دين الإسلام، فالصحيح أيضا أن المقدمات التي قادته إلى الإسلام تختلف «في كل شيء» عن المقدمات التي ساقت الآخرين إلى نفس الطريق..

- ويطيب لي أن أقول: إن إسلام جارودي هو إسلام الفيلسوف، وليس إسلام الدعاة.. أو هو إسلام المفكر الذي يجعل عقله هاديه ومرشده في كل الأحوال.. والآن، تعود بي الذاكرة إلى موقفين ذكرهما الرجل بنفسه لي عندما التقيت به ذات يوم في منزله

القريب من باريس.. وهما موقفان يدعمان ما أقول حول اختلاف إسلامه عن إسلام البسطاء.

- الموقف الأول رواه جارودي كالتالي.. وهو المناسبة رجل حكاء، يحب الرواية، وتجري المعلومات والأفكار على لسانه في سرعة عجيبة.. قال: إن مأساة العرب هي أنهم يربطون الدين الإسلامي بهم دائما وأبدا -بمعنى أنهم يعتقدون أن كل ما هو إسلامي هو بالضرورة عربي.. وهذا أمر صعب وخطير في آن واحد.. لأن الإسلام هو الإسلام وكفى، ثم أنه مظلة عالمية من حق الجميع أن يؤمنوا به ويعتنقوه دون أدنى وصاية من أي عربي أو أي مسلم آخر..

- ثم يدخل جارودي روايته بعد هذا التقديم ويقول عندما أشهرت إسلامي في عام ١٩٨٢، لم أطلب من أحد أن يتفضل بالقيام متطوعا؛ بتغيير اسمي فأنا اسمي روجيه جارودي ولا أرى مبررا لأن يتم استبدال اسمي الأصلي باسم آخر شائع الآن على ألسنة المسلمين للأسف وهو «رجاء» جاردوي».

وهنا -والكلام لايزال لجارودي- أجدني أمام أمرين مؤسفين الأول هو أن يتطوع الآخرون بتبديل اسمي دون إخطاري بذلك وكأنهم قد نصبوا من أنفسهم أوصياء عليّ فهم يرون أن اسمي ينبغي أن يكون «رجاء» بدلا من «روجيه» ومن ثم عليّ أن أطيع شاكرا لهم

هذا الصنيع.

والأمر الثاني المؤسف هو أنهم بربطهم بين «الإسلام والعروبة» طعنوا –ربما دون أن يدروا – في عالمية الدين الإسلامي وشموليته فهو دين للناس جميعا، لكن مُغيري اسمي يرون أنه دين للعرب فقط، وإلا –بالله عليك– لماذا قاموا بتغيير اسمي ليجعلوه اسما عربيا بدلا من الاسم الفرنسي؟!

ويقفز إلى رأسي سؤال هو: ما الضرر إذا عرف الناس أن اسمي روجيه جارودي الفرنسي وأنني قد أشهرت إسلامي، وظل اسمي فرنسيا كما هو؟! بمعنى آخر ما الحكمة في تغيير اسمي وإلباسي «عباءة العربي» بدلا من قبعة الخواجة مادام الأصل أنني مسلم في الحالين؟!

الموقف الثاني الذي رواه لي روجيه جارودي والذي يؤكد أن إسلامه هو إسلام الفيلسوف المفكر وليس إسلام البسطاء من الناس فكان تعليقا له على كلمة أن النبيّ عليه الصلاة والسلام كان «أمياً» يقول فيه: أن كلمة «أمي» المذكورة في القرآن الكريم لها –في رأيه– معنى آخر غير المعنى السهل والسريع المعروف عنها والشائع في معظم التفاسير وهو معنى الجهل.

ويقول جارودي: إنني لا أعتقد أن الرسول الكريم كان أميا أو جاهلا وإنما كانت عكس ذلك تماما لأن تاريخه يؤكد أنه كان رجل

أعمال ناجحا بدليل شهرته التي طغت في الآفاق في عهده وجعلت الكثيرين يطلبون إليه أن يقبل المتاجرة في أموالهم لأنه كان قادرا على تحقيق مكاسب وفيرة بذكائه وعلمه ودرايته بأدبيات السوق والتجارة في مكة والمدينة والقرى المجاورة.

ويضيف جارودي أن هذه الخبرة وذاك العلم تنتفي عند وصفه «الأمية»، ولكنه رجل أعمال من طراز رفيع يتساوى -في عصرنا الحالي- برجل الأعمال الذي يعرف قوانين السوق والمضاربات والبورصة ثم يتقن لغة العصر الحديث مثل الكومبيوتر والانترنت وهذه لعمري -يقول جارودي- صفات إذا ما توافرت في أي إنسان جعلت منه إنساناً مثقفا وعالما متميزاً ويخلص جارودي من هذا الحديث وتلك المقارنة إلى القول -أنني أعتقد- اعتقاداً جازماً- بأن الرسول الكريم لم يكن أمياً بالمعنى الشائع والمألوف.

وهنا أود أن أسجل نقطتين: الأولى هي أن جارودي ليس وحيداً في هذا الاتجاه، لأن هناك تياراً من الفقهاء والمفسرين يرجحون هذا الفهم ويرون أن الرسول الكريم ليس أمياً وإنما كانت خبرته، وذكاؤه، ووعيه بقوانين السوق في عهده أمراً محسوساً ومشهورا عنه..

والثانية هي أن جارودي -بهذا الفهم- يؤكد من جديد أن إسلامه هو من النوع المستنير، وليس من النوع المستكين كما صورته

للأسف بعض التغطيات الصحفية كما أشرت في بداية حديثي.

يبقى أخيرا أن أشير إلى أن جارودي بانحيازه العقلي إلى الإسلام، وتأكيده أنه جاء متسقاً مع معتقداته، وأنه دخله دون أن ينكر ما قرأه في الإنجيل، أو في الماركسية هو شيء يُحسب للإسلام لا عليه كما يظن ضيقو العقول.

obeikan.com

روجيه جارودي.. والإعلام.. واللوبي الصهيوني

يبدو أن الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي قد لمس بنفسه دهشة البعض – أثناء الاحتفاليات التي أقيمت له في القاهرة على هامش معرض القاهرة الدولي للكتاب – مما ذكره حول اللوبي اليهودي، وسطوته القصوى على الإعلام الفرنسي والأوروبي بشكل عام بحيث تجعله صاحب : «القول الفصل» في كل ما ينشر أو يذاع.

ولذلك ألح في كل مرة يتحدث فيها عبر لقاءاته مع مثقفي ومفكري مصر، على هذه النقطة التي خبرها وعاناها طويلا من خلال سلسلة المطاردات التي تعرضت لها مؤلفاته ودور النشر التي أصدرتها، ولعل آخرها تحطيم فاترينة المكتبة التي كانت تقدم لجمهورها كتاب جارودي الأخير «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية»، وحرق الكتاب، وضرب صاحب المكتبة.. وكان جارودي محقا عندما ذكر في أحاديثه المسهبة حقيقتين: الأولى أنه لم يُقدم إلى المحاكمة، كما لم تتعرض مؤلفاته للحرق والإبادة لأنه مسلم، ولكن لأنه يكشف حقائق يعتبرها الإسرائيليون «منطقة حرام» ليس من حقه أن يدخلها أو أن يفضح زيفها..

والحقيقة الثانية هي أنه ليس أول من اتهم اللوبي اليهودي بالسيطرة على وسائل الإعلام في فرنسا فقد سبقه أناس آخرون من بينهم الجنرال الراحل ديجول الذي كان صاحب العبارة الشهيرة: التي تقول: أن ٩٥٪ من الإعلام الفرنسي يقع تحت سطوة ونفوذ اللوبي اليهودي.. وإذا كان لي من تعليق على كلام جارودي فلابد أن أذكر أن جارودي على حق، بل والجنرال ديجول على حق أيضاً.. ودليلي على ذلك هو موقف عايشته بنفسي فعندما شاركت في مؤتمر صحفي ضخم نظمته السفارتان الأمريكية والإسرائيلية في باريس في أول لقاء يجمع بين رئيس الوزراء الإسرائيلي حينئذ بنيامين نيتانياهو.. ووزيرة الخارجية الأمريكية وقتها السيدة مادلين أولبرايت بأحد فنادق العاصمة الفرنسية وأشهد أن الحضور كان كثيفا (لا يقل عن ٥٠٠ صحفي من جميع وسائل الإعلام الأوروبية والعالمية.

وعند دخولي قاعة المؤتمر لاحظت أن الصفين الأماميين كانا محجوزين لأعضاء السفارتين الأمريكية والإسرائيلية، فاخترت وزميلي سيد حمدي مكانا في الصف الثالث.. لكن بحكم اقترابنا من المقاعد الأمامية، كنا نلاحظ أن نفراً من الكثرة الحاضرين كانوا يلبسون القلنسوة اليهودية ويتكلمون مع بعضهم اللغة العبرية، وأحيانا يتكلمون باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.. فهز الزميل سيد حمدي رأسه قائلاً: يبدو أنهم يمثلون الصحافة الإسرائيلية.. وبعد

انتظار ليس قصيرا، وصلت مادلين أولبرايت تتقدم بنيامين نيتانياهو، وتحدث كلاهما بما كان متفقا عليه خصوصا أن المباحثات بينهما قد طالت وطالت.. وما يهمني في هذا الصدد هو المشهد الذي حدث بعد ذلك، في الفقرة التي يعرفها الصحفيون جيداً في مثل هذه الظروف، وهي إفساح بعض الوقت لطرح الأسئلة.. وجرى المشهد كالتالي: .. وقف أحدهم – عرفنا بعد ذلك أنه يعمل مستشارا بسفارة إسرائيل في باريس ليعطي الكلمة للراغبين في طرح الأسئلة.. فكان أن اختار الأول والثاني والثالث والرابع ثم أعلن انتهاء المؤتمر.. ولم يكن هؤلاء سوى الأشخاص الأربعة الذين كانوا يتحدثون معه بالعبرية قبل بدء المؤتمر الصحفي.. هنا، قد لا يبدو الأمر غريبا إذا كان المتحدثون يملكون بالفعل الصحافة الإسرائيلية، لكن الحقيقة أنهم لم يكونوا كذلك، فالمتحدث الأول أعلن عن نفسه أنه ممثل إحدى القنوات التليفزيونية الفرنسية، والثاني قدم نفسه مندوبا لصحيفة أمريكية، والثالث لصحيفة إنجليزية، والرابع لوكالة أنباء افريقية... ونظر نحوي الزميل سيد حمدي وقال في دهشة: إنهم إسرائيليون نعم، لكنهم يتحدثون باسم صحافة العالم وليس صحافة إسرائيل!

فقلت: إنها صحافة إسرائيل يا زميلي وإن اختلفت اللغات، التي تتحدث بها والبلاد التي تصدر منها، بعبارة أخرى وحتى نعود إلى حديثنا الذي بدأنا به هذا المقال، إنها الصحافة التي تحدث عنها

الجنرال ديجول، والفيلسوف روجيه جارودي مؤكدا أن ٩٥٪ منها تقع تحت سطوة اللوبي اليهودي..

.. يبقى أن أشير إلى نقطة أخرى تتعلق بتأثير اللوبي اليهودي في وسائل الإعلام وأقول أن ما ذكره ديجول ثم جارودي ليس جديدا، ولا غريبا، فكلنا يعرفه، لكننا للأسف مازلنا نتعامل مع وسائل الإعلام الغربية ويتم في براعة شديدة وكأنها محايدة، وموضوعية.. أو وكأن شيئا لم يحدث.. غريبة!!

obeikan.com

الإسلام «شيء» و«العروبة» شيء آخر

روجيه جارودي الفيلسوف الفرنسي المسلم شخصية خلافية حتى بين أصدقائه وتلاميذه ومريديه.. فهو يقترب من التسعين من عمره، ولاتزال حماسته للقضايا والأفكار التي يؤمن بها، لا تقل بحال من الأحوال عن حماسة الشباب في مقتبل العمر.. ثم إنه لا ينكر أن محطات الفكر في حياته تواصلت من الإلحاد إلى الإيمان المسيحي الكاثوليكي، إلى أن اهتدى للإسلام فدخل حظيرته، إنما تدينه يختلف كثيراً عن تدين الناس العاديين، إلى حد أن البعض وصفه بأنه «صادم» لأولئك الذين اعتادوا الفهم الهادئ للقضايا بينما ينظر هو إلى منتقديه باستخفاف ويسفه قولهم بأن الإسلام في حياته مجرد محطة لكنه يسخر قائلاً: لقد اهتديت إلى الإسلام واخترته بإرادتي، فهو لا يتعارض مع عقلي، بل بالعكس، يدعوني إلى إعماله في كل كبيرة وصغيرة، وسأبقى مسلماً حتى ألفظ أنفاسي..

ويكره جارودي، الذي يعرف العربية ربط الإسلام بالعرب فقط وله جملة من القناعات بشأن الغرب والإسلام، والأصولية، وأمريكا التي يسميها «الشر الأكبر» وقد تناولها معنا بإسهاب في هذا

الحديث:

«حدثني أحد تلاميذك عن أنك لم تكن موافقاً على إطلاق اسم رجاء جارودي بدلاً من روجيه جارودي عند إشهار إسلامك.. فهل هذا صحيح وما سبب ذلك؟

- أرجو أن تعتقد أنني أحتفل سنوياً بذكرى اليوم الذي أشهرت فيه إسلامي. ولعلك تعرف أنني دخلت إلى الإسلام في الثاني من شهر يوليو عا ١٩٨٢ وكان عمري وقتذاك ٧٢ عاماً.. وربما لهذا السبب لم أستطع تعلم اللغة العربية -لغة القرآن -لأن شيخوختي كانت تحول دون بذلي جهدا مضاعفاً لتعلم هذه اللغة فضلاً عن أنني كنت مشغولاً في ذلك الوقت بإتقان اللغة الأسبانية، التي كنت مشغولاً في ذلك الوقت بإتقان اللغة الأسبانية. التي كنت مضطرا للتعامل بها مع الكثيرين عندما أسست المتحف الإسلامي في أسبانيا.

- وقد أدهشتني وآلمني أيضاً أن أحداً لم يستشرني عندما كتبوا لي شهادة اعتناق الدين الإسلامي، بشأن اسمي وأكاد أقول أنني فوجئت بهم يغيرون اسمي من روجيه إلى رجاء، وهو تغيير -من وجهة نظري- غير مبرر مما جعلني أتساءل مراراً وتكراراً لماذا يصر هؤلاء على جعلي مسلماً عربياً، لأن تغيير روجيه «الفرنسي» إلى رجاء العربي لا يعني سوى معنى واحد هو إخراجي من «فرنسيتي»

وادخالي إلى العربية وتساؤلي أيضا هو:

ماذا يضير هؤلاء إذا ما كنت مسلماً فرنسياً أو هندياً أو صينياً؟

واستطرد روجيه جارودي قائلاً دون أن تفارقه دهشته:

ليس لهذا التصرف سوى معنى واحداً هو أن بعض إخواننا العرب يرون أنهم أوصياء على الإسلام، وأن هذا الدين هو دينهم وحدهم، وتلك نزعة عصبية آن لها أن تزول، فالإسلام هو دين الإنسانية جمعاء، وكما أن من حق أي إنسان دخوله دون استبدال بذلته بالجلباب والعمامة العربية، فكذلك من حقه الاحتفاظ باسمه لأن الإسلام أولاً وقبل كل شيء دين الجوهر لا المظهر.

ناهيك عن أن احتفاظي باسمي الفرنسي روجيه مؤشر أكيد على أن الدين الإسلامي هو دين عالمي أو بالأحرى دين للإنسانية جمعاء، يدخله الفرنسي والإنجليزي،والهندي، والعربي، والزنجي.. ولست سوى واحد من ملايين المسلمين الذين يفرقهم اللون، والجنس، وتجمعه راية الإسلام، وشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لماذا اعتنقت الإسلام؟

قلت: رحلتك الطويلة مع الفكر، ولأنك كنت ربما في مرحلة أولى من حياتك «لا أدريا» – أي لاينتمي لأي دين – ثم ممارستك للكاثوليكية «دينيا» واعتنقت الشيوعية كمذهب، بل كنت أحد منظري الفكر الشيوعي ومؤلفاتك شاهد على ذلك.. كل هذا يجعل

البعض يتساءل: لماذا لا يكون اعتناقك للدين الإسلامي سوى محطة مثل سائر المحطات في مشوارك الفكري؟

- أجاب بعد أن بدا متبرما من السؤال:

سبب اعتناقي الإسلام مباشر وواضح ومقنع على الأقل بالنسبة لي لأن الإسلام دين تسامح يعترف ويقدر كل الأديان ويتجه بتعاليمه إلى كل البشر.

بعض المهتمين بفكرك يرون أن تدينك ليس كالرجل بمعنى أن فهمك للدين الإسلامي هو فهم فوق مستوى الكثيرين – ما رأيك في ذلك؟

- لقد قرأت كل ما كتب عن الدين الإسلامي باللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية وعلى أية حال اخترت الإسلام بإرادتي، ولم يجبرني أحد على ذلك.ولا تنس أنني اعتنقت الإسلام بعد أن بلغت من العمر عتياً كان عمري كما أسلفت ٧٢ عاماً. لكنني استعمل عقلي دائماً في كل شيء يخص هذا الدين الحنيف، ولا أكاد أسلم بما يسلم به الآخرون من الفقهاء الكلاسيكيين -المحافظين- فعلى سبيل المثال، لي فهم خاص لمعنى كلمة النبي الأمي يبتعد كثيراً عن معنى أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف القراءة والكتابة.. فهذا هو المعنى الدارج والشائع والذي يسلم به الكثيرون، ورؤيتي الخاصة أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم

يكن أمياً بهذا المعنى لأنه -كما يعرف كل المسلمين- كان تاجراً ذكياً وناجحًا. ومشهوراً بأمانته، وإتقانه لعمله كما كان ماهراً وبارعاً في التجارة التي يحقق من ورائها الأرباح الطائلة..

وإذا عقدنا مقارنة بين التاجر الناجح في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ومثيله في زماننا، لوجدنا أن هذا الأخير؛ لكي يحقق نجاحاً باهراً في عمله، ويعقد الصفقات بمهارة، ويجني الأرباح الكبيرة، لا يمكن أن يفعل كل ذلك دون أن يتقن فنون الكمبيوتر، والإنترنت، ويتحدث عدة لغات، ويتابع أخبار الاقتصاد والبورصة في كل مكان أي أنه لا يمكن أن يكون جاهلاً بقواعد القراءة والكتابة..

صمت جارودي لحظة ثم أضاف قائلاً:

ما أريد قوله، لأنني مؤمن به هو أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان تاجراً مثقفاً، يجيد لغة التجارة في عصره إجادة تامة، وإلا لما تمكن من تحقيق هذه الشهرة الذائعة في عهده..

نقطة أخرى تجعلني في فهمي للدين الإسلامي مختلفاً عن الآخرين من الكلاسيكيين، وتتعلق بالشريعة والفقه، فرؤيتي أنه لا ينبغي الخلط بينهما، فالشريعة أو الطريقة «الشرعة» تدل على توجه أخلاقي شامل وليس على عدد معين من الوصايا الفقهية المرتبطة بأوضاع تاريخية تتبدل مثلما لا ينقطع الله عن الخلق.

بمعنى آخر: إن فعل «شرع» هو جذر مصطلحي شريعة أو شرعة في كل صيغهما وألوانهما ويختلف تماماً عن وصايا وتعاليم فقهية تعهد تأويلاً بشرياً.

انطلاقا من هذه المبادئ في كل عصر وعند كل شعب لتنظيم الحياة في المجتمع ولتكوين ما يسميه الفقهاء المسلمون بالفقه.

ناهيك عن أن كلمة فقه وفقهاء غير واردتين في القرآن، ثم إن التوجه الخلقي والديني «الطريق إلى الله» الشريعة الحق، هو الهدف الأساسي للقرآن، ضمن أصل ما يزيد عن ٦٠٠٠ آية قرآنية هناك ٨٠ آية فقط حول الأحكام الحقوقية.

بعبارة واضحة أخرى إن القرآن دعوة دينية وأخلاقية وليس قانونا فقهياً.. ولئن كان كتاباً حقوقياً فلأنه يشرع لمجمل الحياة الاجتماعية بدءا من البنية التكوينية للجماعة وصولاً إلى تنظيمها الاقتصادي بمعنى أنه يقدم الأسس الأخلاقية لوضع تشريع، في كل عصر، يلبي حاجات المجتمع لكنه لا يقترح قانوناً بعينه.

ولهذا السبب تجدني في فكري الإسلامي -ألح على ضرورة الفصل بين الشريعة والفقه من جانب، وعلى العودة إلى المنابع الأصلية، لأنني مقتنع أن هذه ليست رجوعاً إلى الماضي كما قد يظن البعض لأن النهر إذ يجري نحو البحر يكون مخلصاً لمنبعه.

«هل هذه الأفكار هي التي قادتك في النهاية إلى الدعوة إلى فقه

حر، أو فقه تحرير على حد قولك في كتاب الأصوليات المعاصرة؟

- أجاب: في كتابي الذي ذكرته قلت إن الإسلام يستطيع في الوقت الحاضر، بإيمان الملايين من البشر الذين يعيشونه، والذين أثبتوا جدارتهم بأن يعيشوا هذا الإيمان حتى الشهادة. أن يؤدي دوراً مهماً إلى جانب العقائد الأخرى التي أنجزت تجددها ولا تنوي الانحراف عنه.

باختصار إذا كانت لاهوتيو التحرير في أمريكا اللاتينية وأفريقيا، قد حققوا انقلاباً جذرياً في اللاهوت التقليدي، وفي واجهة كل الأصوليات، فالإسلام في حاجة إلى هذا الفقه، فقه التحرير.

الغرب .. لماذا يكره الإسلام؟

أود أن أستمع منك إلى إجابة واضحة ومحددة ومقنعة حول الأسباب التي تجعل الغرب يحرص على تشويه صورة الإسلام؟.

– التاريخ القديم والمعاصر منذ الحروب الصليبية وخروج المسلمين من أسبانيا وحتى حرب الجزائر يؤكد أن الغرب يعتبر الإسلام شيطاناً يستحق اللعنة في كل وقت، وهذه حقيقة يجب ألا تغيب لحظة واحدة عن عقولنا لكن المؤسف أن بعض المتحدثين باسم الإسلام يقدمون لأعدائنا جميع الوسائل لتشويه صورة هذا الدين «فعلى سبيل المثال، عندما يصر هؤلاء على أن الشريعة ليست إلا قطع يد السارق، وجلد أو رجم الزاني ووضعية المرأة المتدنية بالنسبة للرجل، يضرون بالإسلام أبلغ الضرر ولقد ذكرت في كتابي الأصولية المتطرفة أن الأصوليين يقدمون عن الإسلام الصورة التي يريد ألد أعدائه أن يعطوه إياها، وضربت لذلك مثلا هو أن جعفر نميري رئيس السودان السابق عندما احتفل سنة ١٩٨٣ بذكرى تطبيقه الدموي للشريعة توافد رجال الدين على الخرطوم لتمجيده مشيدين بتطبيقه الصحيح للشريعة، لكن أحداً منهم لم ينطق بكلمة واحدة عندما سقط نميري وعلقت السلطات

السودانية تطبيق الشريعة.

- ثم لا يخفي عليك أن الغرب لا يريدون إلا هذه الصورة البشعة للإسلام وهي صورة الدين الصارم العنيف والدليل على ذلك هو أن الولايات المتحدة ودولا غربية من ورائها لا تساند اليوم، إلا الدول الأكثر جمودا في فكرها الديني فقد ساندت أمريكا الأفغان في حربهم ضد السوفيت وما أن غاب شبح الخطر الأحمر عن المنطقة عادت تساند العناصر الأكثر تطرفا لكي تتولى السلطة في أفغانستان وهو ما حدث بالفعل.. كما أن موقفها من إيران والعراق ليس ببعيد، فساعدت على تسليح العراق لكي يكون قوة ضاربة في وجه التطرف الإسلامي بإيران، عندما تحقق لها ذلك من خلال حرب ضروس امتدت لسنوات بين البلدين انقلبت على العراق ذاته.

ثم استطرد جارودي قائلاً:

إن مؤثرات الغرب على العالم الإسلامي لم تتوقف في يوم من الأيام، إذ يكفي أن تعرف أن فكرة القومية سواء القومية العربية أو القومية التركية كانت من بنات أفكار الغرب نفسه. فميشيل عفلق «المتفرنس» هو مخترع مذهب أو فكرة القومية العربية، التي «دوخت» العرب والمسلمين في رأيي أكثر من نصف قرن.

كما أن فكرة القومية التركية أو الجنس التركي السامي من اختراع ثلاثة يهود أحدهم إنجليزي والثاني فرنسي والثالث نمساوي.

وفي هذا الصدد أذكر أن شاباً تركياً سألني في زيارتي الأخيرة لاسطنبول وقال: ألا تعتقد أن الأتراك هم الأجدر بقيادة العالم الإسلامي؟.

فأجبت: إن مثل هذا السؤال لا موجب لطرحه، لأن العالم الإسلامي قائده الوحيد هو الله.

ولاشك أن مجرد طرح سؤال كهذا فهو أكبر مؤشر على نجاح الغرب في زعزعة الصف الإسلامي، واعتزاز كل مسلم بجنسه فنشأت خلافات لا مبرر لها غير الفتن بين الأتراك والفرس والعرب.

* انطلاقا من كراهيتك الشديدة للولايات المتحدة التي تعتبرها طليعة الانهيار «يحضرني سؤال هو: ماذا يعني أن يكون الشيخ الضرير عمر عبد الرحمن أحد رموز الأصولية المتطرفة في مصر موجودا حاليا في أمريكا التي وصلها بتأشيرة دخول من السودان؟.

صمت روجيه جارودي لحظة ثم قال: أعتقد أن الأصولية المتطرفة تلعب- ربما عن غير إرادة منها -لعبة خطيرة فهي ترفض النموذج الغربي ولكنها عاجزة عن إعطاء نهج بديل وهنا يحلو للولايات المتحدة والغرب مزاولة لعبتها المزدوجة، فهي تلعن الأصولية المتطرفة وتتهمها بالهمجية والبربرية، خصوصا عندما تتحدث عن تطبيق الشريعة الإسلامية وقطع يد السارق...و ...الخ وفي الوقت نفسه لا تتردد في تقديم كافة المساعدات لرموزها. وإذا سألتني عما تريده الولايات

المتحدة تحديداً من وراء هذا الموقف التناقضي فإجابتي هي أنها لا تريد سوى السيطرة على العالم وضمان استمرارية سوق رحبة لكل منتجاتها ولن يساعدها في تحقيق ذلك – إلى جانب وسائلها العسكرية طبعا سوى هؤلاء المنغلقين على ذواتهم.

سألته: البعض يطلق على ما يحدث الآن (من مظاهر تدين تأخذ أشكالا متباينة في العنف اسم صحوة إسلامية.. ما رأيك؟.

– أجاب: أرجو أن تصدقني، فالعالم الإسلامي يعيش اليوم أسوأ مراحل انحطاطه.. فمعظم قادته مرتبطون بالغرب وعقليتهم مشوشة وهم على كل حال لا يمثلون الإسلام، وإذا كتبت عن الإسلام (العقيدة والإيمان) فلن تعثر عليه إلا في قلوب الناس العاديين. أما الإسلام كمنهج حياة فهو غير موجود والسبب كما أسلفت هو التخبط الذي يعيش فيه الأصوليين المتطرفون.

مهمة صعبة في مصر

زيارتك الأولى لمصر في عام ١٩٦٧، كانت بتكليف من رئيس المجلس اليهودي العالمي «ناحوم جولدمان» ما هي ظروف هذه الزيارة وفحوى هذا التكليف؟

ناحوم جولدمان، كان رجلا كارها للصهيونية وكان قد طلب من الرئيس الأمريكي في ذلك الوقت القيام بكسر اللوبي الصهيوني.. على أية حال، ذهبت إلى القاهرة لأعرض اقتراحاً خاصاً بعقد لقاء مع

الرئيس عبد الناصر وجولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل على أن يتم ذلك من خلال شخص وسيط وكان من المتوقع أن يحضر جولدمان بنفسه أو من ينوب عنه.

ومازلت أذكر أن جواز سفري الذي كنت أحمله وقتذاك كان غريبا، حيث اشتمل على تأشيرتي دخول، الأولى لإسرائيل، والثانية لمصر، والتقيت في إسرائيل بعدد من الوزراء من بينهم أبا إيبان، وكان الجميع موافقين على فكرة اللقاء الذي كانت من المقرر عقده في يوجوسلافيا السابقة.

لكن نقل لي أحد الوزراء الإسرائيليين في اليوم التالي، إن جولدامائير رفضت الفكرة، وقالت أن جولدمان لا يمثلنا، وإذا كان الرئيس عبد الناصر يريد دعوة أحد، فليدعني أنا، ولذلك مات المشروع، وتوقفنا عن المضي فيه.

وزرت مصر مرة ثانية في عام ١٩٧٤ عقب تأسيس معهد حوار الثقافات في سويسرا، عندما قررنا عمل مجموعة أفلام تتضمن ملخصا عن إسهام كل حضارة واخترنا مصر، وكان يشاركني الفكرة المخرج الراحل شادي عبد السلام، الذي كان سيقدم لنا فيها حول اخناتون ونفرتيتي (وللأسف توقف المشروع بسبب خلافاتنا مع التليفزيون الفرنسي).

كما زرت مصر مرة ثالثة بمناسبة صدور كتابي حول فلسطين ثم

توالت زياراتي تباعا للمشاركة في المؤتمرات والندوات ومعرض الكتاب، وتربطني علاقات طيبة بالكثيرين من المثقفين والأزهريين.

* وأخيرا هل هدأت العواصف الآن بعد أن قال القضاء الفرنسي كلمته بشأن الدعوى التي رفعتها ضدك الدوائر الصهيونية بسبب كتابك الأخير «الأساطير الإسرائيلية»؟

صراعي مع الدوائر الصهيونية لن ينتهي، فليست هذه المرة الأولى، التي يصل فيها الوضع للقضاء، فقبل أكثر من ١٥ عاماً حدث شيء مشابه لذلك.. ولعل أكثر ما يضايق هذه الدوائر أنني ألح على كتابة التاريخ الصحيح لا المزيف.. ولعلك تذكر أنني شككت في الأكذوبة الكبرى، التي روجت لها إسرائيل في نهاية القرن العشرين، وهي أن النازيين أحرقوا منهم ستة ملايين، وأكدت عبر الوثائق والشهادات الفكرية أن هذه الملايين لم تكن سوى بضعة آلاف، ولم يكن اليهود الوحيدين الذين ترصدهم النازي.

-أيا كان الوضع لست أخاف من هذه الضجة أو الزوابع التي تثيرها إسرائيل والصهيونية والأمريكان ضدي سيما وأنني أسعى إلى تعبئة الجميع حاليا بالتوعية والفهم الصحيح ضد الاستعمار الأمريكي الجديد للعالم الذي يلبس ثوبة العولمة.

«روجيه جارودي» يتزوج مرتين

ربطتنى لبعض الوقت، ربما بحكم سنوات الغربة الطويلة في باريس،

علاقة طيبة بالمفكر الفرنسي المعروف روجيه جارودي الذي استقرت نفسه، حتى هذه اللحظة، باعتناقه للدين الإسلامي بعد أن ظل يطوف حول المسيحية في صورتها البروتستانتية ثم انتقل منها إلى الماركسية، واشتراكية التسيير الذاتي، إلى أن دخل حظيرة الإسلام، ورفض تغيير اسمه من جارودي إلى رجاء الدين، لأن الدين الإسلامي أكبر من أن يتم إدخاله في قمقم العروبة، اتصل بي ذات مرة روجيه جارودي يطلب أن يلتقي سفير قطر في باريس وكان اسمه «العطية»، الذي تولى لاحقا رئاسة مجلس التعاون الخليجي، ولسابق معرفتي بالرجل، وهو سياسي محنك، حصلنا على موعد في اليوم التالي، وذهبت برفقة جارودي إلى السفارة القطرية وفوجئت بأن جارودي بعد أن تحدث عن المركز الثقافي الذي يحمل اسمه في إسبانيا وإمكانية دعم السفارة للنشرة التي كان يصدرها في حينه تحت عنوان «شرق وغرب»، طلب من السفير «العطية» طلبا غريبا وهو أن يسمح لزوجته الفلسطينية أن تلقاه في الدوحة وهذا معناه أن يقوم السفير بأمرين: أن يعطيه تأشيرة دخول إلى قطر.. ويعطي زوجته المقيمة في دمشق تأشيرة دخول ثانية، بحيث يكون اللقاء في أحد فنادق الدوحة!

واعترف بأنها المرة الأولى التي كنت أعرف فيها أن السيد جارودي له زوجة ثانية «فلسطينية مسلمة»، وأذكر جيداً أن السفير العطية قد احتفى بطلبيه وأكد له أن كل ما يريده سيكون موضع التقدير والاهتمام. بل أن الفندق سيكون مستعداً لاستقبال جارودي وزوجته.. وبعد ايام كان لا بد

أن أذهب للقاء جارودي في منزله. وعندما دققت الباب، وجدتني أمام سيدة في الأربعين أو يزيد قليلاً، كانت متوسطة الطول تلبس ملابس أنيقة في غير فخفخة، ورحبت بي في غير مبالغة.. واضطررت أن انتظر عدة دقائق «وقوفا» ريثما يهبط للقائي السيد روجيه.. وعلى عادة الفرنسيات العجائز نسيبا يدخلن في حديث مع ضيوفهن لا ينتهي.. باختصار فهمت من الحديث أنها زوجة السيد جارودي، هكذا قالت، وأنها تعمل ناظرة مدرسة في ضاحية «شيل»، وهي الضاحية التي كنت -بالمصادفة- أسكن فيها.. وأذكر أنها كانت تتلفت في غير اطمئنان أثناء حديثها معي.. وعندما لقيني روجيه جارودي أسفل السلم الذي هبط عليه، لم يرحب بها على الإطلاق وبات وكأنه يتجاهلها عن عمد لكن في مكتبته المكتظة بالكتب، من كل لون وحجم، أخبرني أن هذه السيدة ليست زوجته، جاء ذلك بشكل عارض وهو يحدثني عن كتابه «الأصوليات» الذى أخبرنى أن الناشرين فى لبنان سرقوه ونشروه مثنى وثلاث ورباع، دون أن يحصلوا على موافقته!

تركت جارودى وهاجس يسنح فى نفسى:

هذا الرجل لم ارته له فعلامات الاستفهام التى يرسمها حول نفسه أكثر من الإجابات، خصوصاً عندما تحدث معى عن أن كلمة «إمى» التى يوصف بها صاحب الرسالة المحمدية لا علاقة لها بما نعرفه عنها من صفات!!